معركة الكروسيدر

الفصل الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

بدأ الهجوم البريطاني في 18 نوفمبر 1941؛ أي قبل أربعة أيام من الموعد الذي حدَّده روميل لشنِّ هجومه على طبرق، مما جعل ميزة المبادأة في حوزة البريطانيين. هذا وقد جرت العمليات الحربية التي عُرِفَت باسم "معركة الكروسيدر" في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: العمليات لرفع الحصار عن طبرق:

تقدَّمت الفرقة 7 المدرعة (من الفيلق 30 البريطاني) خلال يوم 18 نوفمبر إلى منطقة قبر صالح، وفي يوم 19 نوفمبر استولى أحد ألوية الفرقة على سيدي رزق ومطارها، بينما دار قتال عنيف بين اللواءين المدرعين الآخرين للفرقة وقوات مدرعة من المحور في منطقتي بير الجوبي وشرق قبر صالح، مما ألحق خسائر فادحة بالطرفين، وسارع روميل بحشد فرقتيه المدرعتين (15 و21) بالقرب من بير الجوبي لمواجهة الهجوم الرئيسي للبريطانيين، والقيام بهجوم مضاد تشترك معهما فيه فرقة أريتي الإيطالية المدرَّعة؛ لتدمير القوات البريطانية جنوب شرق طبرق.

وإزاء المعلومات التي تلقاها الفيلق 30 عن نجاح عمليات الفرقة 7 المدرعة، وقدرتها على إجراء الاتصال بحامية طبرق لذا أصدر قائد الفيلق أمره إلى حامية طبرق (الفرقة 70) للقيام بالهجوم صباح يوم 21 نوفمبر في اتجاه الجنوب الشرقي، كما أصدر أمره إلى قائد الفرقة 7 المدرعة بالهجوم في الموعد نفسه في اتجاه الشمال الغربي للاتصال بحامية طبرق على أن يتم اللقاء في منطقة (الدودة)، وفي ليلة 20/ 21 نوفمبر قامت الفرقة 2 نيوزيلندية (من الفيلق 13 البريطاني) بحركة التفاف من جنوب سيدي عُمر حول دفاعات المحور في منطقة الحدود، وتمكنت في يوم 21 نوفمبر من احتلال كابوتزو وسيدي عزيز، وفي ليلة 21/ 22 نوفمبر تمكنت الفرقة من احتلال مساعد، وتركت أحد ألويتها في منطقة مساعد ـ كابوتزو ـ سيدي عزيز، وفي فجر يوم 22 نوفمبر تحرَّكت

الفرقة غربًا مستهدفة عزل وحدات المحور في منطقة الحدود، واستولت خلال تقدَّمها على (جمبوت)، ولكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة من قوات المحور مما أجبرها على التوقف.

وبالنسبة لعملية رفع الحصار عن طبرق فقد بدأ هجوم دبابات حامية طبرق في الساعة السادسة صباح يوم 21 نوفمبر بعد أن تمَّ لمهندسي الحامية فتح عدة ثغرات في حقول الألغام وفي الأسلاك الشائكة، واستمر القتال يومي 22 و23 في وجه مقاومة شديدة من مشاة ألمانية مدَّعمة بعناصر من المدفعية المضادة للدبابات من عيار 88مم جعل معدَّل التقدُّم بطيئًا، وانتظرت قوات حامية طبرق وصول وحدات من الفرقة 7 المدرعة لعمل الاتصال بينهما، ورفع الحصار عن طبرق ـ وفقًا للخطة ـ، ولكن وحدات الفرقة المدرعة فشلت إزاء شدة المقاومة الألمانية في شقِّ الطريق إلى المدينة المحاصرة، مما جعل عملية رفع الحصار عن طبرق يصادفها الفشل.

المرحلة الثانية: إغارة روميل على الحدود المصرية:

بينما كانت تشيكلات الجيش الثامن تشقُّ طريقها في السهل الساحلي في اتجاه الغرب بصعوبة بالغة في وجه مقاومة عنيفة من قوات المحور، وفي الوقت الذي أخذ فيه الجنرال كننجهام قائد الجيش الثامن يحاول إعادة تنظيم قواته بعد الضربات العنيفة التي حاقت بها تمهيداً لاستئناف الهجوم في اتجاه الغرب، والتخطيط مرة أخرى لعملية رفع الحصار عن طبرق بعد الفشل الذي صادفته إذا بثعلب الصحراء روميل يترك أرض المعركة الرئيسية، ويفاجئ البريطانيين يوم 24 نوفمبر بزحفه بعدَّة مجموعات من قواته المدرَّعة والمشاة الراكبة في اتجاه الأراضي المصرية، واشتبكت قوات المحور في أثناء تقدُّمها شرقًا بقوات بريطانية كانت متمركزة في قبر صالح، مما أجبر رئاسات التشكيلات البريطانية على الانسحاب بسرعة نحو الحدود المصرية، وعندما وصلت قوات المحور إلى منطقة الحدود هاجمت المناطق الإدارية الخلفية للجيش الثامن، وقوافل تموينه في منطقتي مادالينا وبئر شيفرزن مدمِّرة في طريقها كلَّ ما يصادفها من مخازن أو قوافل أو عربات، مما بَثَّ

الذعر والفزع في المراكز الإدارية، وأدى إلى فرار آلاف من اللواري والعربات إلى داخل الحدود المصرية، وهي في حالة عارمة من الفوضى والارتباك حتى وصل العديد منها في فراره شرقًا إلى منطقة مرسى مطروح.

وفي يوم 25 نوفمبر كان موقف الجيش الثامن قد أصبح حرجًا على الرغم من توقُّف إغارة روميل تحت تأثير شدَّة الهجمات الجوية البريطانية على خطوط مواصلاته، مما أرغمه على وقف تقدُّمه، والانسحاب إلى قاعدته غرب البردية، ولكن فشل جميع وحدات الجيش الثامن في تحقيق أهدافها برغم مضي أسبوع على بدء الهجوم البريطاني جعل اليأس يتسرَّب إلى الجنرال كننجهام، لذا أصدر أمره بانسحاب قيادة الجيش الثامن إلى داخل الحدود المصرية، وبدأ يجهِّز الانسحاب لتشكيلاته لتنسحب على مراحل إلى داخل الحدود؛ حرصًا على سلامتها من التدمير على أن يقوم داخل الحدود المصرية بإعادة تنظيم قواته لمعاودة هجومه مرة أخرى في ظروف أكثر ملائمة، وكانت العوامل التي أدت إلى اتخاذ الجنرال كننجهام قرار التوقف عن الهجوم والانسحاب شرقًا ترجع أساسًا لفشل عملية رفع الحصار عن طبرق، وعجز الفيلقين 13، 30 عن مواصلة التقدُّم غربًا، وتحقيق الأهداف المخصصة لهما، وكذا فداحة الخسائر التي حاقت بالفرقة 7 المدرعة (القوة المدرعة الرئيسية)، وعجزها عن تدمير قوات المحور المدرعة، فضلاً عن انعزال التشكيلات الأمامية البريطانية عن قواعدها الإدارية الخلفية بعد ما حاق بالمناطق الإدارية من فوضى، وارتباك نتيجة للمفاجأة المذهلة التي حلَّت بها عندما وجدت الدبابات الألمانية فجأة تعيث فساداً في كل أرجائها، وعندما علم الجنرال أوكنلك بقرار قائد الجيش الثامن طار على الفور من مركز قيادته بالقاهرة إلى قيادة الجيش الثامن بالصحراء، وبعد مناقشة خطة كننجهام كان قراره الذي أعلنه كما يلي:

"ليس أمامنا سوى مواصلة هجومنا بكل الوسائل التي في حوزتنا لتحقيق هدفنا الرئيسي، وإن المخاطرة التي تكتنف ذلك ينبغي قبولها، ويجب استكمال هجومنا على العدو بلا رحمة مستخدمين كل مواردنا ولو إلى الدبابة الأخيرة"، وتبع أوكنلك هذا

القرار بتَنْحيَة الجنرال كننجهام عن القيادة، وأصدر يوم 25 نوفمبر أمره بتعيين الجنرال ريتشي قائدًا للجيش الثامن، وكان يعمل نائبًا لرئيس أركان القيادة البريطانية في الشرق الأوسط.

المرحلة الثالثة: استئناف الهجوم البريطاني:

في يوم 26 نوفمبر 1941 وبأمر من الجنرال أوكنلك تجدَّدت المحاولة البريطانية لرفع الحصار عن طبرق، فاستأنفت حامية طبرق (الفرقة 70) هجومها في اتجاه الدودة، وتمكنت من احتلالها قبل حلول الظلام، وفي اليوم التالي 27 نوفمبر حقَّقت الفرقة 2 نيوزيلندية بتدعيم من الدبابات اتصالها بحامية طبرق بعد تقدُّمها من سيدي رزق، وسارعت قيادة الفيلق 13 التي كانت متقدِّمة خلف النيوزيلنديين بالدخول إلى طبرق.

ولم يقف روميل ساكنًا إزاء هذه المحاولة البريطانية لتدعيم الاتصال بطبرق، فلم يكد يعود بقواته المدرعة إلى أرض المعركة الرئيسية عقب انتهاء إغارته الجريئة على الحدود المصرية حتى تمكَّن يوم 27 نوفمبر من حشد فرقتيه المدرعتين (15 و21 بانزر)، والفرقة 90 الخفيفة، وفرقة أريتي الإيطالية المدرعة شرق وغرب ممر الاتصال (سيدي رزق ـ الدودة)، ودار القتال طوال يومي 28 و29 نوفمبر بشدة وعنف، حيث حاولت قوات روميل قطع ممر الاتصال بأي ثمن، بينما أخذت الفرقة النيوزيلندية تدافع عنه باستماتة.

وفي يوم 30 نوفمبر شنت قوات المحور المدرَّعة هجومًا عنيفًا على ممر الاتصال، وتمكَّنت من الاستيلاء على سيد رزق، وتكبدَّت الفرق النيوزيلندية خسائر فادحة، وبذا نجح روميل في تحطيم ممر الاتصال بين الجيش الثامن وطبرق، وعادت طبرق لتواجه انعزالها مرة أخرى.

وبرغم الإغارة الجريئة التي قام بها روميل على الحدود المصرية، والتي قال عنها الجنرال أوكنلك في مذكراته: "لو كانت إغارة روميل قد نجحت لكان المؤرخون

العسكريون قد اعتبروها من أروع العمليات الحربية" ، وبرغم نجاح روميل في الاستيلاء على سيدي رزق، وإعادة فرض الحصار حول طبرق فإنه لم يستطع إحراز النصر الذي كان يستهدفه؛ لعظم خسائره في الدبابات، فلم يعد متبقِّيًا لديه سوى 60 دبابة، بينما كان لدى الجيش الثامن ما يزيد على ضعف هذا العدد في الوقت الذي طالت فيه خطوط مواصلاته، وأخذت تتعرَّض بصفة مستمرة للهجمات المفاجئة من وحدات بريطانية خفيفة الحركة وبعيدة المدى (سيارات مدرعة) خُصِّصَت لهذا الغرض، وأُطلقَ عليها اسم (قولات جوك)، وقد تمكَّن آلاي سيارات مدرعة من جنوب أفريقيا من تدمير مستودع البترول الرئيسي للمحور بالقرب من بير الجوبي يوم 5 ديسمبر، مما أدى إلى تفاقم مشاكل المحور الإدارية، وفضلاً عن ذلك لم يكن لدى روميل احتياطي يمكن الاعتماد عليه لاستغلال أي نجاح يحقِّقه في الوقت الذي لم يكن فيه لدى روميل أي أمل في وصول أي إمدادات إليه من بلاده؛ نظرًا لأن العمليات الحربية على الجبهة السوفيتية كانت محتدمة، وتستهلك معظم الموارد الألمانية.

وعقب انتهاء إغارة روميل على الحدود المصرية، ونجاحه في عزل طبرق مرة أخرى عن الجيش الثامن حاول روميل بكل الوسائل الاتصال بقواته المعزولة قرب الحدود المصرية، والتي كانت تتمركز في ثلاثة من المراكز قوية التحصين (البردية والسلوم وممر حلفاية)، وكان يأمل أن تؤدي عملياته الاستطلاعية التي قام بها في اتجاه الحدود بطابورين مدرَّعين قويين تقدَّم أحدهما على الطريق الساحلي، والآخر على طريق كابوتزو إلى نجاحه في سحب هذه الحاميات الألمانية والإيطالية من مواقعها؛ تجنبًا لانعزالها من جهة، ولتنضم إلى قواته التي أُنهكَت في القتال، وفقدت معظم دباباتها من جهة أخرى، ولكن محاولته باءت بالفشل؛ بسبب عنف مقاومة الفرقة 4 الهندية، واللواء النيوزيلندي، واستماتتهما في القتال في الوقت الذي تعرَّضت فيه مدرَّعاته لهجمات عنيفة من سلاح الطيران البريطاني، وإزاء كل هذه العوامل المثبِّطة للهمم قرر الجنرال روميل العدول عن مواصلة الهجوم، وأخذ في إعادة تنظيم قواته تمهيدًا

للانسحاب غربًا، ومستهدفًا الوقوف على خط تعطيلي يمتد من غرب طبرق شمالاً، ويسير في اتجاه الجنوب الشرقي إلى موقع بير الجوبي الحصين على مواجهة تزيد على 80كم.

وفي الوقت نفسه وجد الجنرال ريتشي أن أفضل الحلول أمامه بعد التطوُّرات التي جدَّت على الموقف، وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بقواته أن يتمسَّك بالخطة الأصلية التي كانت تستهدف رفع الحصار عن طبرق أولاً قبل استئناف الهجوم غربًا لاحتلال برقة، ولذا أصدر أمره بأن تتقدم الفرقة 4 الهندية والفرقة 7 المدرعة لمهاجمة سيدي رزق، واحتلالها بالتعاون مع حامية طبرق التي كُلِّفَت بشنِّ هجومها من منطقة الدودة في اتجاه سيدي رزق.

ودارت معركة عنيفة حول سيدي رزق يومي 5 و6 ديسمبر 1941 بين القوات البريطانية التي تدعمها الدبابات وبين القوات المدرَّعة للمحور التي حشدها روميل لستر انسحاب قواته، وإزاء اشتداد ضغط الفرقة 4 الهندية سقطت سيدي رزق يوم 8 ديسمبر في أيدي البريطانيين، وأخذت قوات المحور في الانسحاب في اتجاه الغرب، وفي يوم 10 ديسمبر احتفلت حامية طبرق برفع الحصار نهائيًا عن المدينة بعد أن استمر ثمانية شهور، وفي يوم 11 ديسمبر واصلت القوات البريطانية زحفها غربًا على الطريق الساحلي، وأسند الجنرال ريتشي مسئولية المطاردة إلى الفيلق 13، وكانت قوات المحور المنسحبة قد احتلت خطًّا تعطيليًّا عند الغزالة يمتد جنوبًا في الصحراء لمسافة تبلغ حوالي 48 كم، ووضعت في طرفه الجنوبي وحدات مدرَّعة قوية لمنع أية محاولة بريطانية للالتفاف حول الخط التعطيلي، ولكن هذا الخط التعطيلي الذي تعرَّض لهجوم بريطاني عنيف يومي 14 و15 ديسمبر من وحدات من الفيلق 13 لم يتمكَّن من الصمود طويلاً؛ بسبب النقص الكبير في الدبابات والهجمات الجوية البريطانية التي تركزت عليه، وفي صباح يوم 17 ديسمبر 1941 كانت وحدات المحور قد أتمَّت إخلاء مواقعها على خط الغزالة، ولم تلبث وحدات من الفيلق 13 أن اندفعت إلى الغزالة، وقامت باحتلالها، ثم

واصلت مطاردة قوات المحور على الطريق الساحلي، وعلى الرغم من التفوق البريطاني في الدبابات، ومعاونة سلاح الطيران البريطاني الفعالة فإن انسحاب روميل لم يتحوَّل أبدًا إلى هزيمة وفوضى، بل كان انسحابًا قتاليًّا منظَّمًا، وعلى مراحل متتابعة وراء ستارة قوية من المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم، وتعاملت القوة المدرعة الألمانية برغم ما تعانيه من نقص في الدبابات وفي الوقود بمهارة كبرى مع قوات المطاردة البريطانية، وأحبطت كل محاولاتها لتطويق القوة الأساسية، أو الالتفاف حولها.

الانسحاب إلى خط العقيلة

بدأت قوات المحور بعد إخلائها خط الغزالة في الانسحاب غربًا، وقد خصَّص أمر الانسحاب الذي أصدره الجنرال روميل الطريق الساحلي لتحرُّك فرق المشاة الإيطالية التي تستخدم لواري النقل، والتي يصعُب عليها التحرُّك عبر الصحراء، كما خصص الطريق الصحراوي الداخلي (الغزالة ـ المخيلي ـ مسوس) لتحرُّك فيلق أفريقيا الألماني والفيلق 20 الإيطالي اللذين يضمان الفرق المدرعة وفرق المشاة الراكبة، وواصل الفيلق 13 البريطاني عملية مطاردة قوات المحور دافعًا الفرقة 4 الهندية لمطاردة فرق المشاة الإيطالية المنسحبة على الطريق الساحلي، والفرقة 7 المدرعة لمطاردة الفيلق المدرع الأفريقي والفيلق الإيطالي خفيف الحركة المنسحبين على الطريق الداخلي. وفي يوم 24 ديسمبر سقطت بني غازي في أيدي الفرقة 4 الهندية، ولكن الفرقة 7 المدرعة؛ نظراً لانتشار قواتها فشلت في تطويق المواقع الدفاعية التي احتلَّتها قوات المحور في جنوب إجدابية، خاصة بعد الهجمات العنيفة التي شنَّتها قوات البانزر الألمانية.

ولم يكن توقُّف قوات المحور، واحتلالها للخط الدفاعي جنوب إجدابية إلا مرحلة مؤقتة لالتقاط الأنفاس بعد هذا الانسحاب الطويل الشاق في وجه مطاردة لا هوادة فيها، وكان روميل يهدف من توقُّف قواته على هذا الخط لفترة زمنية محدودة أن تتاح له الفرصة لإجراء عملية إعادة التنظيم، وكذا لستر عملية إعداد المواقع الدفاعية في العقيلة التي تقع على بعد حوالي 120 كم جنوب غرب إجدابية، وكان روميل قد عقد العزم

على أن تكون وقفته الأخيرة على خط العقيلة؛ نظراً لأن إجدابية لم تكن تضم أي موانع طبيعية يمكن الارتكاز عليها؛ مما يَسهُل معه تطويقها، أو اختراق مواقعها الدفاعية.

وكان خط العقيلة يعد خطًّا دفاعيًّا مثاليًّا بالنسبة لقوات روميل التي أُنهكَت في القتال، ثم في الانسحاب الطويل تحت ضغط العدو مما كبدها خسائر كبيرة سواء في الأفراد، أو في المعدات، وخاصة في الدبابات، فقد كان الخط يرتكز على مانعين طبيعيين قويين هما: البحر المتوسط شمالاً ووادي الفارغ جنوبًا الذي يقع على حافة الصحراء الشاسعة التي تضم العديد من الكثبان وغرود الرمال الناعمة التي يصعب اجتيازها، وفي 7 يناير 1942 انسحبت قوات المحور إلى خط العقيلة، فوصلته يوم 11 يناير، ولم تتمكَّن القوات البريطانية المدرَّعة من اللحاق بقوات المحور؛ نظراً لتورطها في حقول ألغام عميقة.

ولم تكد قوات المحور تحتل الخط الدفاعي الحصين حتى تم تدعيمه بحقول ألغام واسعة وعميقة امتدت ما بين البحر المتوسط ووادي الفارغ، مما جعل الهجوم عليه أمراً شديد الصعوبة، ولم يكن لدى الجيش الثامن البريطاني أية مقدرة لاقتحام هذا الخط سواء عن طريق اختراقه، أو الالتفاف حوله عن طريق وادي الفارغ، ثم تطويقه.

وكان روميل قد أجبرته تطورات المعركة على ترك ثلاثة من المواقع الحصينة بالقرب من الحدود المصرية الليبية في (البردية والسلوم وممر حلفاية) بعد أن فشلت محاولاته في سحبها، وضمها إلى قواته.

وكان روميل يأمل أن تؤدي هذه المواقع الدفاعية المحتلة بقوات من المحور والمدعَّمة بدشم خرسانية تضم مجموعات قوية من أطقم مدافع الماكينة، والمدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم الدور نفسه الذي أدَّته طبرق عندما يحين أوان هجومه في المستقبل، فضلاً عن وقوفها كشوكة في جنب ومؤخِّرة البريطانيين، مما سيجبرهم على استخدام الطريق الصحراوي الداخلي، والتخلي عن الطريق الساحلي، وبذا يطول خط مواصلاتهم.

ولكن الأمل في صمود هذه المواقع الثلاثة لم يلبث أن ضاع بعد قليل، فلقد أدرك الجنرال البريطاني ريتشي مدى خطورة بقاء هذه المواقع في يد قوات المحور على خط مواصلاته، لذا أوكل إلى قائد الفيلق 30 مهمة تطهير الطريق الساحلي، وإزالة المقاومات الموجودة عليه من عناصر المحور، وكلَّف البحرية وسلاح الطيران البريطاني بتدعيم فرقة جنوب أفريقيا التي أسند إليها الجنرال نوري قائد الفيلق 30 القيام بهذه المهمة الحيوية.

وفي فجر يوم 31 ديسمبر 1941 بدأ هجوم فرقة جنوب أفريقيا على دفاعات البردية (على بعد حوالي 27كم غرب الحدود المصرية) من اتجاه الجنوب الشرقي تحت غلالة ضخمة من نيران المدفعية، وبرغم الهجمات المضادة التي قامت بها قوات المحور استمر الهجوم البريطاني حتى اليوم التالي، وفي صباح يوم 2 يناير 1942 أعلن قائد قوات المحور استسلامه، ووقع معه في الأسر حوالي ثمانية آلاف من ضباطه وجنوده كان معظمهم من الإيطاليين.

ونظراً لمناعة دفاعات السلوم، وممر حلفاية، وحقول الألغام التي تحيط بهما من كل جانب؛ لذا قرَّر قائد فرقة جنوب أفريقيا أن يشنَّ هجومه عليها لا من الشرق ـ كما كان منتظراً ـ، ولكن من الغرب، حيث تكون الدفاعات أقل تحصيناً، وفي يوم 12 يناير سقطت السلوم في أيدي البريطانيين الذين تمكَّنوا أيضًا من الاستيلاء على مورد المياه الوحيد لحامية ممر حلفاية، وبذا تم تطويق الممر من جميع الجهات.

وبرغم الهجمات البريطانية البرية والجوية العنيفة، وبرغم قلة الطعام، وفقد الحامية لمورد مياهها الوحيد فقد ظلت قوة المحور في حلفاية تقاتل باستماتة حتى اضطرت إلى الاستسلام في 17 يناير 1942؛ نظراً لنفاد مياهها، وهكذا وقع في الأسر القس الألماني الميجور باخ قائد قوات المحور في حلفاية وحوالي ستة آلاف من ضباطه وجنوده، وكان نصفهم تقريبًا من الألمان، وأعلن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ـ بعد انتهاء العمليات في

برقة التي استغرقت حوالي شهرين ـ على الشعب البريطاني نبأ الانتصارات التي أحرزها الجيش الثامن، فذكر أن خسائر المحور من القتلى والجرحى بلغت 11000 ألماني و13000 إيطالي، فضلاً عن أسر 36000 من الألمان والإيطاليين، وتدمير 386 من دبابات المحور.

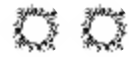

obeikandl.com